﴿وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ١٢ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١٣﴾ [النمل: 10 - 13]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قَبْلَها:

تـولّـت سـورةُ النّملِ جانبًا من قـصّـةِ مـوسى يتعلّقُ بتكليفِه بالنّبوّةِ وتأييدِه بالمعجزاتِ

هذا المشهدُ القصصيُّ معطوفٌ على المشهدِ السّابقِ، فهو من عطفِ مشاهدِ القصّةِ على بعضِها؛ إذ أمر اللّه تعالى موسى ﷺ هنا أن يُلقي عصاه لتتحوَّل بعد ذلك إلى ثُعبانٍ مُخيفٍ، فخاف موسى ﷺ وولَّى مُدبرًا، ثمّ ناداه رَبُّه وطَمأنَه وكَلَّفَه بالرّسالةِ وبالوجهةِ الّتي سيذهب إليها، وبيّن له آياتِ التّأييدِ التّسعَ الّتي سيواجههم بها.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿جَآنّٞ﴾: (جنن) أَصْلٌ واحِدٌ، وهو السَّتْرُ؛ فالجَنَّةُ ما يَصيرُ إليه المسلمون في الآخرة، وهو ثَوابٌ مَستورٌ عنهم اليوم، والجَنَّةُ: البُستانُ، وهو ذاك لأنَّ الشَّجَرَ بِوَرَقِه يَستُرُ، والجَنينُ: الوَلَدُ في بَطْنِ أُمِّه، والجَنينُ: المَقبورُ، والجَنانُ: القَلْبُ، والمِجَنُّ: التُّرْسُ، وكُلُّ ما استُتِرَ به مِنَ السِّلاحِ فهو جُنَّةٌ، والمَجَنَّةُ: الجُنونُ، والحَيَّةُ الّذي يُسَمَّى الجانَّ هو تَشْبيهٌ له بالواحِدِ مِن الجانِّ، وسُمّي الجِنُّ بذلك لأَنَّهُم مُتَستِّرونَ عن أَعْيُنِ الخَلْقِ، قالَ اللّه تَعالَى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ﴾ [الأعراف: 27][1]، وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهَا جَآنّٞ﴾؛ أيْ: كأنّها ذَكَرُ الحَيّاتِ سريعُ الحَرَكةِ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المُفرَدات: (جنّ).

2) ﴿مُدْبِرًا﴾: (دبر) أَصْلٌ يَدُلُّ على آخِرِ الشَّيْءِ وخَلْفِه خِلاف قُبُلِه، فمُعْظَمُ البابِ أَنَّ الدُّبُرَ خِلافُ القُبُلِ، والدَّبيرُ: ما أَدْبَرَتْ به المرأَةُ من غَزْلِها حين تَفْتِلُهُ، والدَّبيرُ: ما أَدْبَرَتْ به عن صَدْرِكَ، ودَبَرَ النَّهارُ وأَدْبَرَ، وذلك إذا جاءَ آخِرُهُ، وهو دُبُرُهُ[1]. ووَلَّى دُبُرَه؛ أَيْ: جَعَل دُبُرَه وظَهْرَه إلى ما ينبغي أن يواجهه، قال تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ﴾ [الأنفال: 16]؛ أَيْ: يفِرُّ فيكون ظهرُه للعَدوِّ[2]، وقوله: ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾؛ أَيْ: ذهب هارِبًا.

3) ﴿يُعَقِّبْ﴾: (عقب) أصلٌ يَدُلّ على تأخير شيءٍ وإتيانه بعد غيره، والعَقِبُ: مُؤَخَّرُ القَدَمِ، وتُجمعُ على أعقابٍ، وعَقِبُ الرَّجُل: ولَدُه وولدُ ولَدِه الباقونَ من بَعْدِه، وقَوْلُهم: لا عَقِبَ له؛ أَيْ: لم يبق له ولدٌ ذَكَرٌ، وتقول: ولَّى فلانٌ على عَقِبه وعَقِبَيه؛ أَيْ: أَخَذَ في وجْهٍ، ثم انثنَى راجعًا، والتَّعْقيبُ: انصرافك راجعًا من أمرٍ أَرَدْتَه أو وجْهٍ، والمُعَقِّبُ: الّذي يتتبع عَقِبَ إنسانٍ في طلب حَقٍّ أو نحوه، وكُلُّ شيءٍ يُعْقِبُ شيئًا فهو عَقيبُه؛ كقولك: خَلَفَ يَخْلُفُ بمنزلةِ اللَّيْلِ والنَّهار إذا قضى أحدُهُما عَقِبَ الآخر؛ فهما عقيبان كلُّ واحدٍ منهما عَقيبُ صاحبه[3]، وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾؛ أَيْ: لم يلتفت وراءه[4].

4) ﴿جَيْبِكَ﴾: (جوب) أو (جيب) أَصْلٌ يَدُلُّ على قَطْعٍ وسط الشّيء المُجتمِع الصّلب أو الشّديد قطعًا مستديرًا مع بقاء جوانبه ملتحمة، فجَيْبُ القَميصِ أو الدّرع: منفذ الرأس منه، يُقالُ: جِبْتُ القَميصَ: قَوَّرْتَ جَيْبَهُ، وجَيَّبْتُهُ: جَعَلْتَ لَهُ جَيْبًا[5]، وقوله تعالى: ﴿فِى جَيْبِكَ﴾؛ أَيْ: في فُتحة قميصك المفتوحةِ إلى الصَّدْر.

5) ﴿مُبْصِرَةً﴾: (بصر) أصلٌ يَدُلُّ على العِلم بالشّيْء؛ يُقالُ: هوَ بَصيرٌ بِهِ، ومِن هَذِه البَصيرَةُ وهي: البُرْهانُ والقِطْعَةُ مِن الدَّم إذا وقَعَتْ بالأَرْضِ استَدارَتْ، والبَصيرَةُ: التُّرْسُ، وأَصْلُ ذلك كُلِّه وُضوحُ الشَّيْءِ، ويُقالُ: رَأَيْتُهُ لَمحًا باصِرًا؛ أَيْ: ناظِرًا بِتَحْديقٍ شَديدٍ، ويُقالُ: بَصُرْتُ بِالشَّيْءِ: إذا صِرْتَ بِه بَصيرًا عالِمًا، وأَبْصَرْتُهُ: إذا رَأَيْتَهُ[6]، وقال

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (دبر).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (دبر).
(3) الفراهيديّ، العين: (عقب).
(4) الرّاغب، المُفرَدات: (عقب).
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (جيب) والسَّمين، عُمدة الحُفّاظ: 1/ 361.
(6) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (بصر).

ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: 12]؛ أيْ: مُضيئةً للأبصار، وكذلك قوله ﷻ: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: 59]، وقيل: معناه: صار أهلُهُ بُصَراءَ[1]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً﴾؛ أيْ: مُضيئةً تَدُلّ على الحقِّ ويُبصِر بها كما تُبصِرُ الأبصارُ بالشّمسِ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ذِكْرُ الآياتِ الّتي أيّـدَ اللهُ تعالى بها موسى عليه السلام

أي: وألقِ عصاك؛ فألقاها فصارت حَيّةً، فلمّا رآها تتحرّك في خِفَّةٍ تَحَرُّكَ الحيّةِ السَّريعة ولَّى هاربًا ولم يرجع إليها، فطمأنه الله بقوله: يا موسى لا تَخَفْ، إنّي لا يخاف لديَّ مَن أرسلتُهم برسالتي، لكن مَن تجاوزَ الحدَّ بذنبٍ، ثمّ تابَ فبدَّل حُسْن التّوبة بعد قبحِ الذَّنبِ، فإنّي غفورٌ له رحيمٌ به، فلا ييأس أحدٌ من رحمة الله ومغفرته، وأدخلْ يدكَ في فتحةِ قميصِك المفتوحةِ إلى الصَّدرِ تخرجْ بيضاءَ كالثّلجِ من غير بَرَصٍ في جملةِ تسعِ معجزاتٍ؛ لتأييدك في رسالتك إلى فرعون وقومه، إنّهم كانوا قومًا خارجين عن أمر الله كافرين به، فلمّا جاءتهم هذه المعجزاتُ ظاهرةً بيِّنةً يبصر بها مَن نظر إليها حقيقةَ ما دلّت عليه، قالوا: هذا سحرٌ واضحٌ بيِّنٌ[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواو في قولِهِ: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾:

العَطْفُ للتّغايُرِ والتّشريكِ

الواو في قولِه تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ عاطفةٌ، عطفت ما بعدها على قولِه: ﴿أَنْ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾، والمعنى: (نودي أن بورك مَن في النّار، وأنْ ألقِ عصاك)؛ كلاهما تفسير لنودي؛ أيْ: قيل له: (بورك مَن في النّار)، وقيل له: (ألقِ عصاكَ)، وإنّما احتيج إلى تقديرٍ حتّى يتناسقَ عطفُ الإنشاء على الخبر؛ والدّليل على ذلك قوله تعالى:

(1) الرّاغب، المُفرَدات: (بصر).

(2) مجموعة من المؤلّفين، التّفسير الميسّر: 1/ 377 - 378.

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ بعد قوله: ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القَصص: 30] على تكريرِ حرفِ التَّفسيرِ، كما تقول: كتبتُ إليك أن حُجَّ وأن اعتَمِرْ، وإن شئت أن حُجّ واعتمِرْ[1].

ويجوز أنْ تكون الجملةُ معطوفةً على قوله: ﴿إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ عند مَن يُجَوِّز عطف الإنشاء على الخبر مُطلقًا دون تقديرٍ[2].

دلالةُ الأمرِ في ﴿وَأَلْقِ﴾:

الأمرُ الإلهيُّ واجبُ التَّنفيذِ

الأصل في الأمر أنّه يُفيد الوجوبَ لا سيّما إنْ كان على جهةِ الاستعلاء، وأفاد الأمر في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ وجوبَ إلقاءِ موسى العصا، وقد امتثل عليه السلام لِما أُمر به، ليعلمَ علمًا شهوديًّا عزّتَه تعالى، وحكمتَه[3].

نكتةُ إضافةِ (العصا) إلى الضّميرِ المُتعلّقِ بموسى عليه السلام:

العصا لموسى عليه السلام وإضافتُها إليه تطمينٌ له

إضافة العصا إلى موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ هي لطمأنة موسى وإزالة الرّهب عنه، فضلًا عن كونِها إضافةَ تخصيصٍ أو تمليكٍ، فالعصا له وليست لغيره، ولكنّه لمّا كان مُحتاجًا إلى التَّسريةِ والإحساسِ بالأمنِ قال له: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ دون قوله: (ألقِ العصا) أو (ألقِها).

معنى الفاءِ و(لمّا) في قولِهِ: ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾:

العطفُ مع الإفصاحِ عن محذوفٍ

الفاءُ في قولِه تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ فصيحةٌ تُفصِح عن جملةٍ قد حُذفت ثقةً بظهورها ودلالةً على سرعةِ وقوع مضمونِها، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾ [يوسف: 31] بعد قوله تعالى: ﴿ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ [يوسف: 31] كأنّه قيل: فألقاها فصارت في الحال - بما أذنت به الفاء - حَيَّةً تسعى فأبصرَها، فلمّا أبصرها

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 350.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 213.
(3) البقاعيّ، نَظْمُ الدُّرر: 14/ 134.

متحرِّكةً بسرعةٍ واضطرابٍ وخِفَّةٍ ولّى[1]، و(لمّا) ظرفيّة حينيّة فيها معنى الشّرط.

دلالةُ ﴿تَهۡتَزُّ﴾، وموقعُها النّحويّ:

هيئةُ اضطرابِ الحَيَّةِ وديمومةُ الاهتزازِ أدعى للرَّهبةِ منها

معنى ﴿تَهۡتَزُّ﴾؛ أيْ: تضطربُ في تحرُّكها[2]، وتُنبئ صيغةُ المضارع عن استمرار الاضطرابِ وديمومةِ الاهتزاز، وجملة ﴿تَهۡتَزُّ﴾ حاليَّةٌ مِنْ هاء ﴿رَءَاهَا﴾؛ لأنَّ الرُّؤيةَ بَصَريَّةٌ[3]، والاهتزاز والاضطراب حالُها الدّائمُ الّذي تبدو عليه وذلك أدعى للخوفِ منها والرَّهبةِ.

بلاغةُ التّشبيه في قولِه: ﴿كَأَنَّهَا جَآنّٞ﴾:

شبّهَ حالَ اهتزازِ العصا المُنقلبةِ بالجانّ

شُبّهتِ العصا في قولِه تعالى: ﴿كَأَنَّهَا جَآنّٞ﴾ بالجانِّ بأداةِ التّشبيه (كأنّ)، وهو تشبيهٌ مُرسَلٌ مُجمَلٌ، شَبَّهَ حالَ اهتزازِها وسرعةَ انقلابِها وتغيير أوصافها بالجانِّ؛ وهو صغير الحيّاتِ[4].

بلاغةُ المُتشابِهِ اللّفظيِّ في وصفِ العصا:

اختصّتْ كلُّ سورةٍ بأسلوبها التّعبيريِّ تبعًا لمقصودِها

جاء وصفُها في سورة (الأعراف) و(الشُّعراء) بأنّها ثعبانٌ مبينٌ ﴿فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ١٠٧﴾ [الأعراف: 107]، و[الشُّعراء: 32]، وجاء وصفها بأنّها حيّة في سورة طه: ﴿فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ٢٠﴾ [طه: 20]، وهنا – في سورة النَّمل – جاء وصفها بأنّها جانٌّ، والحقّ أنّه لا تعارض حقيقيًّا بين هذه الأوصاف، وإنّما جاء كلّ وصفٍ مُتَّسقًا مع سياقه العامّ والخاصّ الّذي جاء فيه؛ فوصْفُها بالثّعبان المُبين جاء في سياقِ عرضِ هذه المعجزةِ أمام فرعون وسحرته، وكان القصد منها بيانَ ضخامتها وقوّة بأسِها وأنّها تلقف كلّ شيء أمامها، وأمّا وصفُها بأنّها حيَّةٌ؛ فقد جاء في معرض بيان سرعة حركتِها أمامه في سياقِ حديثِه عن عصاه؛ إذْ أطنب موسى عليه السلام في بيان مآثر هذه

(1) البقاعيُّ، نَظْمُ الدُّرر: 14/ 134، وأبو السّعود العمادي، إرشاد العقل السّليم: 6/ 274.
(2) البقاعيُّ، نَظْمُ الدُّرر: 14/ 134.
(3) السَّمين، الدُّرُّ المَصون: 8/ 577.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 213.

العصا واستعمالاتها لديه؛ فقال تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ۝١٨ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۝١٩ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسْعَىٰ ۝٢٠ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ۝٢١﴾ [طه: 17 - 21] فهذه العصا الّتي كانت طوع إرادة موسى ﷺ أصبحت في هذا المشهد وبقدرة الله تعالى شيئًا آخر لا قدرة لموسى ﷺ عليه ألبتّة، وأمّا وصفُها هنا بأنّها كالجآنّ فهو لبيان شدّةِ الخوفِ الّتي لحقت موسى ﷺ لدى مشاهدتها لذلك ولّى مدبرًا ولم يُعقّب.

الموقعُ النَّحويُّ لقولِه: ﴿وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا﴾:

الجملة ﴿وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا﴾ جوابُ شرطِ (لمّا) لا محلّ لها من الإعرابِ، دلالةً على سرعة تولّيه وفوريّة حصولِ الإدبارِ عند رؤيةِ اهتزازِ العصا، لغلبة خوفِه الجِبلّيِّ على تأمّله العقليّ[1].

دلالةُ الإدبارِ وإعرابُهُ:

المُرادُ بقولِه: ﴿مُدۡبِرٗا﴾؛ أيْ: هاربًا منها مُسرعًا جدًّا لقوله: ﴿وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ﴾؛ أيْ: لم يرجع على عقبه[2]، فالإدْبارُ: التَّوَجُّهُ إلَى جِهَةِ الخَلْفِ وهوَ مُلازِمٌ لِلتَّوَلّي، فقَوْلُهُ: ﴿مُدۡبِرٗا﴾ حالٌ لازِمَةٌ لِفِعْلِ ولَّى"[3]، فكأنّ الإدبار حالٌ مُلازِمةٌ له لشدَّةِ هربِهِ، وإسراعِه فيه.

لشدّةِ إدبارِه وسرعةِ هربِه، وكأنّها حالٌ مُلازمةٌ له

معنى الواو في: ﴿وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ﴾:

يمكن أن تكون الواو في قوله تعالى: ﴿وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ﴾ عاطفةً على معنى أنّه فعل الأمريْن: التّولّي، وعدم الرّجوع، ويمكن أن تكون الواو حاليّة، والجملة بعدها حال مؤكّدة لتولّيه، فقَوْلُهُ: ﴿وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ﴾

لم يتردَّد موسى ﷺ في تولّيهِ

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 171، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 228.
(2) البقاعيُّ، نَظْمُ الدُّرر: 14/ 134.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 228.

تَأْكيدٌ لِشِدَّةِ تَوَلّيه؛ أيْ: ولَّى تَوَلّيًا قَويًّا لا تَرَدُّدَ فيهِ[1]، فلم يتردّدْ في الجِدّ في الهرب، ولم يلتفت إلى ما وراءَه بعد توليتِهِ[2].

نكتةُ فصلِ قولِهِ: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ﴾:

الفصلُ لكمالِ الانقطاعِ أو للاستئنافِ البيانيّ

لم يُعطف النّداء في قوله تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ﴾ على قوله: ﴿وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ﴾ لاختلاف الخبر والإنشاء كما هو مُقرَّرٌ في علم المعاني، ولأنّ ما سبقها كان إخبارًا عن حالِ موسى ﷺ، وهنا نداءُ اللّه تعالى له، ويمكنُ حملُ الفصلِ على الاستئنافِ البيانيّ جوابًا عن سؤالٍ مُقدَّرٍ تشوّفت له النَّفس: فما فعلَ ربُّه معه لمّا ولّى مُدبرًا؟ فكان الجواب أنّه ناداه بأنْ لا يخاف.

نكتةُ ندائه بـ(يا) مع قُربِه منه:

نداءُ القريبِ ذي الشّأن بـ(يا) دليلُ عنايةٍ وعلوّ منزلةٍ

إذا نودي بـ(يا) القريبُ المفاطنُ، فذلك للتّأكيد المُؤْذِن بأنّ الخطاب الّذي يتلوه مَعْنيٌّ به جدًّا[3]، ونداء اللّه تعالى لنبيّه بحرف النّداء المُستعمَل للبعيد في قوله تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ﴾ لِعُلوِّ منزلةِ المُنادي وهو اللّه سبحانه وتعالى، ولإنزال المُنادَى منزلةَ مَن يحتاج إلى تنبيه لِما سيتلوه من خطابٍ وتَطْمينٍ.

دلالةُ النَّهي في قوله: ﴿لَا تَخَفۡ﴾:

لا تستمرّ في خوفِك ولا تستسلم لنتائِجِهِ

الأصلُ في النّهي أن يُفيد وجوبَ التَّركِ إذا كان على سبيلِ الاستعلاءِ ما لم تقم قرينةٌ صارفةٌ عن الوجوب إلى غرضٍ آخر، ولكن لمّا كان النّهي هنا مُنصَبًّا على أمرٍ يتعلّق بمشاعر الإنسان وانفعالاته الدّاخليّة - وهي أمورٌ لا يمكن للإنسان أن يتحكّم بها - يُحمل النّهي على مُسبِّبات الخوفِ أو نتائجه، بحيث لا يترتّب عليه استمرار تولّيه، أو يُحمل على النّهي عن الاستمرار في الخوف؛ لأنّ خوفَه قد حصلَ[4].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 19/ 228.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 19/ 228.
(3) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 1/ 121.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 19/ 228.

نكتةُ فصلِ قولِه: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾:

الفصلُ لكمالِ الاتّصالِ أو للاستئنافِ البيانيِّ

يمكنُ أن يكون الفصلُ في قولِه تعالى: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ لكمالِ الاتّصالِ؛ لكونِ هذه الجملةِ في موضعِ التّعليلِ للنّهي، مُبَشِّرَةً بالأمنِ والرِّسالة[1]، ويمكن أن يكون سببُ تركِ العطف شِبْهَ كمال الاتّصالِ جوابًا عن سؤالٍ مُقدَّرٍ: (لماذا النّهي عن الخوف؟).

فائدةُ تتابعِ المؤكِّداتِ:

تزاحمتِ المؤكّداتُ من أجلِ التّسريةِ والتّخفيفِ عن موسى عليه السلام

أُكّدت الجملةُ في قولِه تعالى: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ بعدّةِ أساليب للتّوكيدِ، بـ(إنّ)، وبالجملةِ الاسميّةِ، وبذِكْرِ ضميرِ العَظَمَة، وبتقديم ﴿لَدَيَّ﴾، وبتعريف ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾؛ وذلك للتّسرية والتّخفيف عن موسى عليه السلام من هولِ ما رآه، فالتّوكيدُ في أصلِه يُؤتى به للشّاكِّ أو المُتردِّد، أو لِمَنْ يُنزَّل هذه المنزلةَ.

دلالةُ النَّفي بـ﴿لَا﴾، والتّعبير بالمضارعِ: ﴿لَا يَخَافُ﴾:

حقٌّ على مَن اصطفاه اللهُ بالرِّسالةِ أن يغلبَ الأمنُ خوفَه

﴿لَا﴾ تدخلُ على الفعلِ المضارعِ فلا تُقيِّده بزمنٍ على الأرجحِ، وقيل: تخلّصه للاستقبال، والحقُّ أنّ زمنَ المضارعِ المَنفيّ بها يتحدّد بالسّياق، فتنفيه في زمنِ الحاضرِ والمستقبلِ مع إفادةِ الاستمرارِ، كما هو المعنى في قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾، وحقٌّ على مَن ارتبط بربّه سبحانه بعلاقة النّبوّة والرّسالة أن يغلبَ الأمنُ عنده الخوفَ؛ "لأنّهم معصومون من الظُّلم، ولا يخاف من المَلِكِ العَدْلِ إلّا ظالمٌ"[2].

نكتةُ حذفِ متعلّقِ الخوفِ:

في حذفِ المفعولِ أبلغُ التّعميمِ

المُراد بالخوف في قوله تعالى: ﴿لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ﴾ في الموضعيْن: الخوفُ من انقلاب العصا حيَّةً، وعن كلِّ خوفٍ يخافه كما في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ

(1) البقاعيُّ، نَظْمُ الدُّرر: 14/ 135.
(2) البقاعيُّ، نَظْمُ الدُّرر: 14/ 135.

طَرِيقًا فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾ [طه: 77]، وحَذْفُ مُتَعَلَّقِ الخوفِ أبلغُ في تعميمِ جميعِ أنواعِ الخوفِ المتبادرِ إلى الذّهنِ.

معنى ﴿لَدَىَّ﴾ وغرضُ تقديمِها:

تنزيهُ اللهِ سبحانه وتعالى عن الحلولِ والأعراضِ

معنى لَدَيَّ؛ أيْ: في حَضْرَتي، فمعنى قوله تعالى: ﴿إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾؛ أيْ: حينَ تَلَقّي رِسالَتي، وليس المُراد هنا المكان[1]، وأفاد تقديمها التّخصيص على معنى أنّ الخوف مُنتفٍ عن الرُّسل في حضرةِ الألوهيّةِ دون غيرِها، ولا مانعَ من كونِ التّقديمِ مفيدًا لتعجيلِ المَسَرَّةِ.

معنى (أل) في ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾:

التّعريف في قوله تعالى: ﴿إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ للاستغراق؛ ليعمّ كلّ الرّسلِ بدليلِ وقوعِ الاستثناءِ بعده، لا سيّما عند مَن عدّ الاستثناء بعده استثناءً مُتّصلًا.

بلاغةُ الكنايةِ: ﴿إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾:

جملة ﴿إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ كِنايَةٌ عن تشريفِ موسى عليه السلام بمرتبةِ الرِّسالةِ إذ عُلِّلَ بأنَّ المُرسَلينَ لا يخافونَ لدى اللّه تعالى[2].

نوعُ الاستثناءِ في: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾:

مقصودُ الاستثناءِ تسكينُ خاطرِ موسى وتبشيرُه بأنَّ الله غَفَرَ له ما كان فرَطَ منه

ذهبَ بعضُ أهلِ العلمِ إلى أنّ الاستثناءَ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ مُنقطعٌ، و﴿إِلَّا﴾ بمعنى (لكن)؛ لأنّه لمّا أطلقَ نفيَ الخوفِ عن الرُّسلِ، كان ذلك مَظَنّةً لطروّ الشّبهة؛ فاستدرك ذلك، والمعنى: (ولكن مَن ظلم منهم)؛ أيْ: فرَطَت منه صغيرةٌ ممّا يجوز على الأنبياء، كالّذي فرَط من آدم ويونس وداود وسليمان وإخوة يوسف، ومن موسى بوكزِه القبطيّ، ويوشك أن يقصد بهذا التّعريضَ بما

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 228.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 228.

وجد من موسى، وهو من التّعريضاتِ الّتي يلطف مأخذها، وسمّاه ظُلمًا، كما قال موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾ [القَصص: 16][1].

وذهب بعضُهم إلى أنّه استثناءٌ مُتّصلٌ على أنّ الأنبياء ﷺ معصومون من الكبائر ومن الصّغائر الّتي هي رذائلُ، واختُلف فيما عدا هذا، وفي الآية على هذا التّأويل حذفٌ اقتضى الإيجازُ والفصاحةُ تركَ نَصِّه، تقديرُه: (فمَنْ ظلم ثُمَّ بَدَّلَ)[2]، والمقصودُ من هذا الاستثناءِ على هذا الوجه تسكينُ خاطرِ موسى وتبشيرُه بأنَّ اللّه غفر له ما كان فرَطَ فيه، وأنَّه قَبِلَ توبَتَه ممّا قاله يوم الاعتداء: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ۝١٥ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾ [القَصص: 15 - 16]، فأفرغ هذا التَّطمينَ لموسى في قالَب العموم تعميمًا للفائدة.

وقد تحصَّل مِن الاحتِمالَيْن في معنى الاستثناءِ أنَّ الرُّسلَ في حضرةِ اللّه (أيْ: حين القيام بواجبات الرِّسالة) لا يخافون شيئًا من المخلوقاتِ؛ لأنَّ اللّه تعالى تكفَّل لهم السَّلامة، ولا يخافون الذُّنوب؛ لأنَّ اللّه تكَفَّلَ لهم العِصمةَ، ولا يخافون عقابًا على الذُّنوب؛ لأنَّهم لا يقربونها، وأنّ مَن عداهم إنْ ظَلَم نفسَه ثمّ بَدَّل حُسنًا بَعْدَ سوء أَمِنَ ممّا يخافُ من عقابِ الذّنوبِ؛ لأنَّه تداركَ ظلمَه بالتّوبةِ، وإنْ ظلم نفسه ولم يَتُبْ يَخَفْ عِقابَ الذَّنب، فإنْ لم يَظْلِم نَفْسَه فلا خوف عليه، فهذه معانٍ دَلَّ عليها الاستثناءُ باحتماليْهِ، وذلك إيجازٌ[3].

معنى ﴿مَن﴾ في قولِه: ﴿مَن ظَلَمَ﴾:

إفادةُ عمومِ مَنْ دخـلَ في حيّزِ الصّلةِ

يمكن أن تكون ﴿مَن﴾ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾: موصولةً، والأصلُ في الاسم الموصول أنّه مُبهم، وهو هنا مُفيدٌ لعموم مَنْ دخل في حيِّز الصِّلة، وجاءت جملة صلةِ الموصول بالفعل الماضي للدّلالةِ على

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 351.
(2) ابن عطيّة، المُحرَّر الوجيز: 4/ 251.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 229 - 231.

وقوعِ الظُّلم في الزّمن الماضي وتبديله بعد ذلك بفعل الحُسْن، ويمكن أن تكون ﴿مَن﴾ شرطيّةً، وفعل الشّرط ﴿ظَلَمَ﴾ في محلِّ جزمٍ[1].

نكتةُ حذفِ مُتعلّقِ الظّلمِ:

حُذِف متعلّقُ الظّلمِ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا﴾ للعموم؛ ليشملَ كلَّ أنواعه، سواءٌ أكان ظلمًا بين العبدِ وربّه، أو بينه وبين غيرِه، أو ظلمه لنفسه، وهذا من الإيجازِ البديعِ.

معنى ﴿ثُمَّ﴾ في قولِه: ﴿ثُمَّ بَدَّلَ﴾:

يـأتي التّبديلُ متأخّرًا زمنًا عن فعلِ السّوءِ

أفادتْ ﴿ثُمَّ﴾ في قوله: ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ التّراخي الرُّتَبيَّ والزّمنيَّ في آنٍ واحدٍ[2]؛ إذ إنّ التّبديل يأتي متأخِّرًا زمنًا عن فعلِ غير الحُسن، بدليلِ قوله: ﴿بَعْدَ﴾، فضلًا عن عُلوّ رُتبته عن فعلِ السّوءِ.

دلالةُ التّعبيرِ بلفظِ التّبديلِ:

يـقـتـضي لـفـظُ التّبديلِ وجودَ مُـبـدَّلٍ ومُـبَـدَّلٍ منه

فِعْلُ ﴿بَدَّلَ﴾ يقتضي شيئَيْن: مأخوذًا، ومُعطًى، فيتعدَّى الفعلُ إلى الشَّيئَيْن تارةً بنفسه كقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: 70]، ويتعدّى تارةً إلى المأخوذ بنفسه وإلى المُعطَى بالباءِ على تضمينِه معنى (عاوض)؛ كما قال تَعالَى: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾ [النّساء: 2]؛ أيْ: لا تأخذوا خبيثَ المال وتُضَيِّعوا طَيِّبَه، فإذا ذُكِر المفعولانِ منصوبَيْن تَعَيَّن المأخوذُ والمبذولُ بالقرينة؛ وإلّا فالمجرور بالباء هو المبذول، وإن لم يُذكَر إلّا مفعولٌ واحدٌ فهو المأخوذ.

فمعنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾؛ أيْ: أخذ حُسنًا بسوءٍ، فإنّ كلمة ﴿بَعْدَ﴾ تدُلُّ على أنّ ما أُضيفتْ إليه هو الّذي كان ثابتًا ثم زالَ وخَلَفَه غيرُه[3].

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 171.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 19/ 248.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 231.

نكتةُ تنكيرِ ﴿حُسْنًا﴾، و﴿سُوٓءٍ﴾:

أفادَ تنكيرُ ﴿حُسْنًا﴾ و﴿سُوٓءٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ العمومَ، ليَشْمَل كُلَّ حُسْنٍ وكُلَّ سوء.

بلاغةُ الطّباقِ بين لفظتي ﴿حُسْنًا﴾ و﴿سُوٓءٍ﴾:

تـصـوّرُ حالتي الحُسنِ والسّوءِ حاضِرتَيْن ترغيبًا وترهيبًا

بين ﴿حُسْنًا﴾ و﴿سُوٓءٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ طباقُ إيجابٍ، وهو من المُحسِّنات البديعيَّة الجميلة لحصولِ التّقابلِ بين هاتيْن اللّفظتيْن، وإفادةِ تصوُّر حالتي الحُسْن والسّوء حاضرتيْن، واللَّبيب مَنْ يتّعظ.

معنى الفاءِ في قولِهِ: ﴿فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

الفاءُ في قولِه: ﴿فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ عاطفةٌ للتّرتيبِ والتّعقيبِ السّريع، ويمكن أن تكون واقعةً في جوابِ الشَّرطِ ورابطةً له.

فائدةُ توالي المؤكِّداتِ:

أُكّدت جملة ﴿فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بـ(إنّ)، والجملة الاسميّة، وذلك تطمينًا للنّفوس، وتطييبًا للخواطر، وتسليةً لموسى عليه السلام، وتعليمًا له بعضًا من صفات مولاه.

نكتةُ تذييلِ الآيةِ بـ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

مَنْ تابَ تابَ اللهُ عليه وغَفَرَ ذنبَه ورحِم ضَعْفَه

ذُيّلت الآيةُ الكريمةُ ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بهذيْن الاسميْن الجليليْن ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ لأنّها تناولت الحديثَ عن فعلِ السّوءِ ثمّ التّوبة عنه، فـ﴿غَفُورٌ﴾؛ أيْ: من شأني أنّي أمحو الذنوبَ محوًا يُزيل جميعَ آثارِها، و﴿رَّحِيمٌ﴾ أُعاملُ التّائب منها معاملةَ الرّاحمِ البليغِ الرَّحمة بما يقتضيه حالُه من الكرامة[1].

سرُّ تقديمِ المغفرةِ على الرَّحمةِ:

يُـغـفـرُ الـذَّنـبُ وتَنزِلُ الرَّحمةُ

تتقدّمُ المغفرةُ على الرَّحمةِ في كلِّ المواضعِ وعددها سبعون موضعًا في فواصلِ الآياتِ، ولم تتقدّم الرّحمةُ على المغفرةِ إلّا في

(1) البقاعيُّ، نَظْمُ الدُّرر: 14/ 136.

موضعٍ واحدٍ في مطلعِ سورة سبأ في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [سبأ: 2]، وذلك لأنّ هذه الآيةَ لم تتحدَّث عن ذنوبٍ تُرتَجى مغفرتُها، بخلافِ المواضع السّبعين الأخرى؛ حيث سبقها حديثٌ عن ذنوبٍ أو تشريعاتٍ وأحكامٍ تستوجب المغفرةَ والرّحمةَ عند وقوعِ الزّلل فيها، والمغفرة تأتي في التّرتيب العقليّ قبل الرّحمة؛ لأنّ في المغفرةِ معاني التّغطية والسّتر، وهي سابقةٌ لحصولِ الرّحمةِ.

نكتةُ تنكيرِ الاسمَيْن الجليلَيْن والمبالغةِ فيهما:

أفاد تنكيرُ ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ التّعظيمَ والتّفخيمَ، وجاءا على زنةِ (فعيل) الّذي يدلُّ على المبالغةِ في تحقُّقِ مضمونِهما.

بلاغةُ المُتشابه اللّفظيّ مع سورةِ القَصص:

قال تعالى في سورة النّمل: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾، وفي سورة القَصَص: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْآمِنِينَ ۝٣١﴾ [القصص: 31]؛ لأنّ المقامَ في سورةِ القَصص مقامُ خوفٍ، والخائفُ يحتاجُ إلى الأمنِ فأمنه قائلًا: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْآمِنِينَ ۝٣١﴾ [القصص: 31]، أمّا في سورة النّمل فالمقام مقامُ التّكريم والتّشريف، فقال: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾؛ فألمح بذلك إلى أنّه منهم، وهذا تكريمٌ وتشريفٌ، ثمّ قال: ﴿لَدَيَّ﴾ مُشعِرًا بالقُرْب، وهو زيادةٌ في التّكريم والتّشريف.

تختلفُ الألفاظُ والتّراكيبُ في القصّةِ الواحدةِ تبعًا للسّياقِ الّذي تُعرضُ فيه

ثمّ إنّه لمّا قال في سورة النّمل: ﴿لَدَيَّ﴾ المُفيدة للقُرب؛ ناداه بما يُفيد القُرْب فقال: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾، ولم يَقُلْ: ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ﴾ [القصص: 30] كما قال في القَصَص، ففصل بين المنادي والمنادَى بما يُفيد البُعد، وأمره أيضًا بما يُفيد القُربَ بلا فاصلٍ بينهما فقال: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾، ولم يَقُلْ: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ [القصص: 31] للدّلالة على قُرب المأمور منه، فناداه مِن قُرْبٍ وأمرَه مِن قُرْبٍ، وذلك لأنّه كان منه قريبًا، فانظر عُلوَّ هذا التّعبيرِ ورفعته.

ومن ناحية أخرى قال: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ ولم يَقُلْ: (إنّي لا يخاف منّي المرسلون)؛ لأنّ المرسلين لا يخافون بحضرته، ولكنّهم يخشونه ويخافونه كلّ الخوف، وقال في النّمل: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، ولم يَقُلْ مثل ذلك في القَصَص؛ لأنّه لا يحسُنُ أن يُقال: (إنّك من الآمنين إلّا مَن ظَلَم ثُمَّ بدّل حُسْنًا بعد سوءٍ)، ولو قال هذا لم يكن كلامًا[1].

معنى الواو في قوله: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾:

تعاقبُ الآياتِ تطمينٌ وتسليةٌ

الواو في قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ عاطفةٌ، عَطَفت ما بعدها على قوله: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾، وما بينهما اعتراضٌ، بعد أنْ أراه آيةَ انقلابِ العصا ثُعْبانًا أراهُ آيَةً أُخْرَى في نفسه بقلبِ عَرَضِها الّذي كانت عليه إلى عَرَضٍ آخر نورانيّ؛ ليَطْمَئِنَّ قَلْبُهُ بالتَّأْييدِ[2].

دلالةُ الأمرِ في قولِهِ: ﴿وَأَدْخِلْ﴾:

أمرٌ بما يترتّبُ عليه

قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ﴾ أَمرٌ بما يترتَّبُ عليه مِن ظهورِ المُعْجِزِ العظيم، لَمّا أَظْهَرَ له مُعْجِزًا في غيره، وهو العصا، أَظْهَرَ له مُعْجِزًا في نَفْسِه، وهو تَلَأْلُؤُ يَدِه كأنَّها قِطْعَةُ نورٍ، إذا فعل ما أُمِرَ به، وجوابُ الأمر الظّاهر أَنَّهُ ﴿تَخْرُجْ﴾؛ لِأَنَّ خُروجَها مُتَرَتِّبٌ على إدْخالِها[3].

بلاغةُ الاحتباكِ في الآيةِ:

الاكتفاءُ بالمُثْبَتِ عن المحذوفِ لظهورِه بالسّياقِ

ويجوزُ أنْ يكون في قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ﴾ حَذْفٌ تَقْديرُهُ: وأَدخِلْ يَدَكَ في جَيْبِكَ تَدْخُلْ، وأَخْرِجْها تَخْرُجْ، فحَذَفَ من الأَوَّلِ ما أَثْبَتَ مُقابِلَهُ في الثّاني، ومن الثّاني ما أَثْبَتَ مُقابِلَهُ في الأَوَّلِ[4]، ويترتّب على تقديرِ الحذفِ هنا وجودُ أسلوبِ الاحتباك في الجملة؛ إذ إنّ حذفَ شيءٍ يدلُّ عليه مذكورٌ يُعدُّ نوعًا

(1) السّامرّائيّ، لمسات بيانيّة، ص: 87 - 88.
(2) البقاعيُّ، نَظْمُ الدُّرر: 14/ 136، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 19/ 231.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 215.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 215.

من بلاغة الاحتباكِ، لكنّ تقديرَ المحذوفاتِ بهذه الطّريقة قد يكون فيها تكلُّفٌ[1].

معنى الظّرفيّةِ في قولِهِ: ﴿فِي جَيْبِكَ﴾:

الظّرفيَّةُ في قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ حقيقيَّةٌ على معنى إدخالِ اليدِ في جيبِ القميصِ الّذي يدخُل ويخرجُ منه الرّأسُ، أو إدخاله في القميصِ نفسِه أو فُتحةٍ أخرى فيه حسب المُراد بالجيب، وقد تكون الظّرفيَّةُ مجازيَّةً إذا كان المعنى إدخال اليد تحت الإبط كما جاء في بعض الرّوايات، قال السُّدّيُّ: في جَيْبِكَ؛ أيْ: تحت إبطك[2].

إدخالُ اليدِ في القميصِ حقيقةً، أو إدخالُها تحتَ الإبطِ مَجازًا

دلالةُ التّعبيرِ بالمضارعِ: ﴿تَخْرُجْ﴾:

قوله تعالى: ﴿تَخْرُجْ﴾ فِعْلٌ مضارِعٌ مجزومٌ؛ لأنّه جواب الأمر، واستحضار الصّيغة ههنا لتصوير حالةِ خروجِ اليدِ بيضاءَ وكأنّها الآن مشاهدة.

فائدةُ قوله: ﴿بَيْضَآءَ﴾:

وقولُه تعالى: ﴿بَيْضَآءَ﴾ حالٌ مِن فاعلِ ﴿تَخْرُجْ﴾؛ أيْ: بياضًا عظيمًا نَيِّرًا جِدًّا، له شعاعٌ كَشُعاع الشَّمس[3]، وصار البياض هيئةً ملازِمَةً لليد.

نكتةُ فصلِ قولِه: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ عن سابقتها:

نكتةُ فصلِ قولِه تعالى: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ عن سابقتِها، أنّها إمّا أن تكون حالًا أخرى مؤكِّدَةً للحال الأولى، أو صفةً لليد فيكون سبب الفصل كمال الاتّصال، والإتيان بهذه الجملة لدفع توهُّم أن يكون البياض مرضًا أو آفةً من بَرَصٍ أو غيره[4].

الإتيانُ بالصِّفةِ لدفعِ وقوعِ وهمِ أنّ بياضَ اليدِ آفةٌ

(1) السَّمين، الدُّرُّ المَصُون: 8/ 875، والآلوسيّ، روح المعاني: 19/ 250.
(2) الآلوسيُّ، روح المعاني: 19/ 249.
(3) البقاعيُّ، نَظْمُ الدُّرر: 14/ 136.
(4) البقاعيُّ، نَظْمُ الدُّرر: 14/ 136.

معنى ﴿مِنۡ﴾ في قوله: ﴿مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ﴾:

﴿مِنۡ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ﴾ صِلَةٌ للفعل (ابيَضّ) المُستَكِنّ في الصفة ﴿بَيۡضَآءَ﴾، كأنّه قال: (ابيَضّت مِن غير سوءٍ).

سرُّ تنكير ﴿سُوٓءٍ﴾:

نفيُ السّوءِ نوعًا وكَمًّا

أفاد تنكير ﴿سُوٓءٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ﴾ معنى العموم؛ أيْ: من دون سوءٍ سواء أكان صغيرًا أو كبيرًا فضلًا عن النّوع، ويمكن أن يفيد التّنكير التّحقير على معنى دون أدنى سوءٍ يُذكر.

نكتةُ فصلِ قولِه: ﴿فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ﴾:

أُمِر موسى عليه السلام بالذّهاب إلى فرعون وقومِه

نكتةُ الفصلِ في قوله تعالى: ﴿فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ﴾ أنّه كلامٌ مُستأنفٌ جديدٌ، والجارُّ والمجرور فيه مُتَعَلِّقٌ بمحذوف، والمعنى: (اذهب في تسع آياتٍ إلى فِرْعَوْنَ ونحوه)[1].

التَّعلُّق النَّحويُّ في قولِه: ﴿فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ﴾:

تتنوَّعُ وجوهُ تعلُّق الجملةِ بحسبِ المعاني المُرادةِ

قوله: ﴿فِي تِسۡعِ﴾ فيه أوجهٌ؛ **أحدُها:** أنّهُ حالٌ ثالثةٌ مِنْ فاعلِ يَخْرُجْ؛ أيْ: (آيةً في تسعِ آياتٍ)، **والثّاني:** أنّها مُتعلِّقةٌ بمحذوفٍ؛ أي: (اذهَبْ في تسعٍ)؛ فهنا نقدّر فعل أمرٍ محذوفًا، **والثّالث:** أنْ يتعلَّقَ بقولِه: ﴿وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ﴾ و﴿وَأَدۡخِلۡ﴾؛ ويكونَ المعنى: (وأَلْقِ عَصاكَ وأَدْخِلْ يَدك في تسعِ آياتٍ)؛ أيْ: في جملةِ تسعِ آياتٍ[2].

معنى ﴿فِي﴾ في قوله: ﴿فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ﴾:

العصا واليدُ في جملةِ تسعِ آياتٍ أو مع تسعِ آياتٍ أُخَرَ

تُفيد ﴿فِي﴾ في قوله تعالى: ﴿فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ﴾ الظّرفيّةَ المجازيّةَ، على معنى: في جملة تسعِ آيات، وتكون العصا واليد من جملتها، وعند مَنْ يرى أنّ الآيات الّتي أُرسل بها موسى إلى فرعون تسعٌ سوى العصا واليد، فيكون مجموعها إحدى عشرة، وهي: الفلق، والطّوفان، والجراد، والقُمَّل، والضّفادع، والدّم،

(1) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 351.
(2) السَّمين، الدُّرُّ المَصون: 8/ 578 - 579.

والطّمس، والجدب في بواديهم، والنّقصان في مزارعهم، فإنّ ﴿فِي﴾ بمعنى (مع)، وبعضهم رأى أنّ معنى قوله: ﴿فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ﴾؛ أيْ: (من تسع آيات)، كما تقول: خُذْ لي عشرًا من الإبلِ فيها فحلان؛ أيْ: منها[1].

نكتةُ تنكيرِ ﴿ءَايَٰتٍ﴾:

أفادَ تنكيرُ ﴿ءَايَٰتٍ﴾ في قولِه تعالى: ﴿فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓ﴾ تعظيمها من ناحيةٍ، وتعميمها من ناحيةٍ أخرى طالما كان هنالك اختلافاتٌ في تحديدها.

نكتة عطف قوم فرعون:

عطفت الآيةُ الكريمةُ قومَ فرعون عليه في قوله: ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓ﴾، إيذانًا بتبعيّتهم له ابتداءً في كلّ ما يراه ويُقَرِّرُه، وإشارةً إلى أنّ ما سيواجهه نبيّ اللّه بعد ذلك من أذًى وضيقٍ سيكون من كلّ الأصعدة، وكامل الاتّجاهات، سواءً أكان ذلك من السّحرة أو الملأ أو حتّى من قومه من بني إسرائيل.

الإشارة إلى التّبعيّة، وإلى مصدر الأذى والعداوة

نكتةُ فصلِ قوله: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَا فَٰسِقِينَ﴾:

لم تُعطف هذه الجملة ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَا فَٰسِقِينَ﴾ على سابقتها؛ لأنّها جاءت استئنافًا بيانيًّا جوابًا عن سؤالٍ مُقَدَّرٍ: (لمَ أُرسلتْ إليهم هذه الآيات؟)؛ فكان التّعليل بفسقِهم هو محور هذه الإجابة عن هذا السّؤال.

الفصل للاستئناف البيانيّ

نكتةُ توالي المؤكّدات:

أُكّدت جملة: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَا فَٰسِقِينَ﴾ بـ(إنّ) والجملة الاسميّة الّتي خبرها جملة اسميّة كذلك، فضلًا عن تكرار ذِكْر المُسند إليه في الجملتيْن، ودخول (كان) الّتي أفادت تحقُّق وصف الفسق فيهم

قد تتزاحمُ المؤكّدات في معرضِ التّحذيرِ والتّنبيه والتّنْبِيهَةِ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 215، والزَّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 351.

واستقراره علمًا لهم منذ أن كانوا، وكلّ ذلك ليتهيّأ موسى ﷺ لهذه المهمّة الصّعبة الّتي ستجعله من أولي العَزْم من الرُّسُل بعد ذلك.

نكتةُ تنكيرِ ﴿قَوْمًا﴾:

إفادةُ التّحقيرِ أو التّكثيرِ

أفاد تنكير ﴿قَوْمًا﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ تحقيرَهم على هذا الفسق الّذي وُصفوا به، ولا مانع مع هذا مِنْ حَمل تنكيرهم على التّكثير، فهم أمّةٌ كبيرةٌ وقويّةٌ ومع ذلك استحقّوا هذا الوصف لخروجهم عن جادّةِ الطّريق.

دلالةُ وصفِهم بالفِسْقِ:

الفِسقُ أعمُّ من الكُفْر

يُقال: فسَقَ فلانٌ: خرج عن حِجْرِ الشَّرْع، وذلك من قولهم: فسَقَ الرُّطَبُ، إذا خرج عن قشرِه، وهو أعمُّ من الكفر، والفِسْقُ يقع بالقليل من الذُّنوب وبالكثير، لكن تُعورف فيما كان كثيرًا، وأكثر ما يُقال الفاسِقُ لِمَن التزم حُكْم الشّرع وأقرَّ به، ثمّ أخلّ بجميع أحكامه أو ببعضه، وإذا قيل للكافر الأصليّ: فاسِقٌ، فلأنّه أخلَّ بحُكْم ما ألزمه العقل واقتضته الفطرة[1]، فسبب وصفهم بالفِسق في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ إنّما هو لمبالغتهم في الخروج عن الجادّة، ولمخالفتهم ما يُمليه العقل السّليم والفطرة النّقيّة.

معنى الفاءِ و(لمّا) في قوله: ﴿فَلَمَّا﴾:

الفاءُ للعطفِ على محذوفٍ

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا﴾ عاطفةٌ على محذوفٍ، وتُفيد التّرتيب والتّعقيب السّريع، فموسى ﷺ لم يتلكّأ في المهمّة، ولذا قد يكون تقدير الكلام: (ذهب موسى إلى فرعون وملئه وواجههم بما أُرسل به إليهم، وعرضَ عليهم الآيات المُؤيّدة له، فلمّا جاءتهم آياتنا)، وأمّا (لمّا) فهي ظرفيّةٌ حينيّةٌ تتضمّن معنى الشّرط، الّذي فِعْلُه ﴿جَآءَتْهُمْ﴾ وجوابه ﴿قَالُواْ﴾.

(1) الرّاغب، المُفرَدات: (فسق).

بلاغةُ المجازِ في إسنادِ المجيءِ إلى الآياتِ:

إسنادُ الفعلِ لغيرِ فاعلِه تجوّزٌ عقليٌّ لغرضٍ وقرينةٍ

في قوله: ﴿جَآءَتۡهُمۡ ءَايَتُنَا﴾ أُسند المجيءُ إلى الآيات، والآيات لا تجيء من تلقاء نفسها، وإنّما موسى ﷺ هو الّذي جاء بها من عند اللّه، فهذا مجازٌ عقليٌّ أو حُكْميٌّ لأنّ فيه إسنادًا لَمَنْ لم يقع منه الفعل والعلاقة فيه السَّببيَّة والمُسببيّة، فمجيء موسى ﷺ إليهم هو السّبب في مجيء الآيات.

فالمجيء مجازٌ عن الظُّهور، وإسناده إلى الآيات حقيقيٌّ، أو المجيء حقيقةٌ وإسناده إلى الآيات مجازيٌّ، وهو حقيقةٌ لموسى ﷺ، ولما بينهما من الملابَسَة؛ لكونها معجزةً له ﷺ ساغ ذلك، ولعلّ النّكتةَ في العدولِ عن (فلمّا جاءهم موسى بآياتنا) إلى ما في النَّظْم الجليل الإشارةُ إلى أنّ تلك الآياتِ خارجةٌ عن طوقِه ﷺ كسائرِ المُعجزاتِ، وأنّه لم يكن له ﷺ تصرُّفٌ في بعضها[1].

نكتةُ إسنادِ الآياتِ إلى ضميرِ العَظَمَةِ:

في قوله: ﴿ءَايَتُنَا﴾ دون (بالآيات) تشريفٌ لهذه الآياتِ وتعظيمٌ لشأنها بإسنادها إلى ضمير العَظَمَة، فهو لم يأت بهذه الآياتِ من تلقاءِ نفسه؛ إنّما هي آياتُ اللّه أيَّده بها.

بلاغةُ المُتشابه اللّفظيّ مع سورة القَصَص:

اختصّتْ كلُّ سورةٍ بألفاظِها الخاصَّةِ بها

قال اللّه تعالى في سورة القَصَص: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ [القَصَص: 36]، فأُسند المجيء بالآياتِ إلى موسى ﷺ، وواضحٌ من سياق الآيات في سورة القَصَص أنّ التّفصيل فيها كان أكثر، والعرض لجوانب قصّة موسى ﷺ كان أشمل، والمحاكة بين موسى ﷺ وفرعون وملئه كانت على أشدّها؛ فاقتضى السّياقُ إسنادَ المجيء بالآيات إلى موسى ﷺ، بخلاف سياقِ سورة النّملِ الّتي كان العرضُ فيها موجزًا ومُركّزًا على عدم انتفاعهم بالآيات رغم استيقانهم بها.

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 19/ 251.

بلاغةُ المجازِ في وصفِ الآياتِ بالإبصارِ:

إسنادُ الإبصارِ للآياتِ فيه تجوُّزٌ عقليٌّ

في قوله تعالى: ﴿جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً﴾ وصَف الآياتِ بالإبصارِ، ومن العلماء من يرى أنّ هذا الإسناد حقيقيٌّ، ومنهم مَن يراه مجازًا عقليًّا لعلاقة السّببيّة، فالمُبصرة: الظّاهرة البيّنة، جعل الإبصار لها وهوفي الحقيقة لمتأمّليها؛ لأنّهم لابسوها وكانوا بسببٍ منها بنَظَرِهم وتفكّرهم فيها، ويجوز أن يُراد بحقيقة الإبصار كلّ ناظر فيها من كافّة أولى العقل، وأن يُراد إبصارُ فرعون وملئه، لقوله: ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النّمل: 14]، أو جُعِلت كأنّها تُبصِر فتَهدي؛ لأنّ العمياء لا تَقدِر على الاهتداء، فضلًا أن تهدي غيرها[1]، وعلى هذا الوجه الأخير هو استعارةٌ مكنيَّةٌ، شُبِّهَت الآيات في جلائها في نفسها وأنّها بحيث يهتدي بها النّاس، كأنّها الشّخص تُبصِرُ بنفسها فتهدي النّاس، ويمكن أن تكون ﴿مُبْصِرَةً﴾ بمعنى مبيَّنةً اسمُ فاعِلٍ أُطلق للمفعول، وإشعارًا بأنّها لِفَرْط اجتلائها للأبصار بحيث تكاد تُبصِر نفسَها لو كانت ممّا يُبصِر، أو ذات تبصّر من حيث إنّها تهدي، أو: مبصرةً كلَّ مَن نظر إليها وتأمَّلَ فيها[2].

الموقعُ النَّحويُّ لقولِه: ﴿مُبْصِرَةً﴾:

آياتُ الله تعالى ظـاهـرةٌ بيِّـنـةٌ مُنيرةٌ لا يكفُر بها إلّا مَـن عـميتْ بصيرتُه

تُعرَب ﴿مُبْصِرَةً﴾ على أنّها حالٌ منصوبةٌ[3]؛ فالإبصارُ حالٌ ملازمةٌ لآياتِ الله تعالى لكونها منيرةً وظاهرةً، فهي هاديةٌ لهم إلى الطَّريقِ الأقوم هداية النّور لِمَنْ يُبصر، فهو لا يُخطئ شيئًا ينبغي أن ينتفع به[4]، فلا يزيغ عنها إلّا جاحدٌ ضالٌّ مَعميُّ البصيرة.

غرضُ التّعبيرِ باسمِ الإشارةِ القريبِ:

حقَّروا ما جاءَ به مـوسى فأعـمى اللهُ بصيرتَهم

عبّر فرعون ومَلؤُهُ عن الآيات الّتي رأوها باسم الإشارة المُفرد

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 351.
(2) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 11/ 473.
(3) السّمين، الدُّرُّ المَصون: 8/ 580.
(4) البقاعيُّ، نَظْمُ الدُّرر: 14/ 136.

القريب ﴿هَٰذَا﴾ في قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، والمعنى: (هذا الّذي نراه من الآيات، أو هذا الّذي جئتَ به سحرٌ مبينٌ)، وأفاد التّعبيرُ باسمِ الإشارةِ هنا التّحقيرَ والذّمَّ لما جاء به موسى عليه السلام، وهذا يدلّ على عُنجُهيَّتِهم بعدم رغبتِهم بذِكْر المُشارِ إليه، وإنّما اكتفوا باسم الإشارةِ كِبْرًا وبَطَرًا.

سرُّ تنكيرِ لفظةِ ﴿سِحْرٌ﴾، ووصفهم الآياتِ بها:

تهمةُ السّحرِ هي الأقربُ للكافرين في وصفِ مُعجزاتِ الأنبياءِ

اتُّهم موسى عليه السلام بالسِّحر في قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، كما اتُّهم غيرُهُ من الأنبياءِ حتّى نبيُّنا محمد ﷺ؛ وذلك لجحودهم الحقَّ مع استيقانهم إيّاه في أنفسهم، ولتبريرِ ما يرونه من خوارقِ العاداتِ، وروائعِ المُعجزاتِ؛ فالتّعليل لكلِّ ذلك بكونه سِحْرًا للتّلبيسِ على النّاسِ، ولتأثيرِ الرّأي العامِّ، لا سيّما مع انتشار وشيوع السّحرِ في مصر، بدليل طَلَب فرعونَ اجتماعَ كبارِ السّحرةِ مع موسى عليه السلام، وأمّا تنكير لفظةِ السِّحْر فإنّما جاء للتّعظيم والتّفخيم؛ أيْ: هذا الّذي جئتَ به سحرٌ عظيمٌ في أعينِ النّاس ظاهرُ الوضوحِ.

دلالةُ التّعبيرِ بـ﴿مُّبِينٌ﴾ مادّةً وصيغةً:

زعموا أنّ السّحرَ الّذي جاءَ به موسى واضحٌ شديدُ الظّهورِ

يدلّ الجذرُ (بان) على البُعدِ في الشّيءِ، ومنه الظّهورُ والوضوحُ والانكشافُ، فهذا السّحرُ الّذي جاء به موسى بزعمهم في قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ واضحٌ شديدُ الظّهورِ على أنّه دلالةٌ على كونه عملًا بشريًّا وليس تأييدًا ربّانيًّا، فالأمر لا يحتاج إلى عمقِ تفكيرٍ؛ فهذه الآيات الّتي جاء بها من الواضح تمامًا أنّها من فعل السّحرة المُشتهرين في ذلك الزّمان، والتّعبير بـ﴿مُّبِينٌ﴾ من (أبان) اللّازم كما يظهر على معنى أنّه اسم الفاعل للجذر (بان)؛ فهو شديدُ الظّهورِ والانكشافِ.

اختصّتْ كلّ سورةٍ بألفاظٍ وتراكيبَ تتلاءمُ مع محاورِها الخاصّةِ

بلاغةُ المتشابه اللّفظيّ في توجيه تهمةِ السّحرِ لموسى:

نجدُ في أثناءِ عرضِ قصّةِ موسى في القرآنِ الكريم، تباينًا في اتّهامهم تارةً للآيات الّتي جاء بها بأنّها سحرٌ مبينٌ، وتارةً لموسى

عليه السلام بأنّه ساحرٌ عليمٌ، ففي سورة يونس: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يونس: 75 - 76]؛ فالتّهمة هنا أُلقيت من قِبَلِ فرعون مع مَلَئِه على الآيات الّتي جاء بها موسى عليه السلام، ولذلك طلب فرعونُ منهم بقوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ [يونس: 79]، في حين قال في النّمل: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾؛ فالقائلُ هو فرعون وقومه، والتّهمة أيضًا مثل سورة يونس مُنصَبَّةٌ على ما جاء به موسى عليه السلام.

أمّا في سورة الأعراف: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾﴾ [الأعراف: 109]؛ فالملأ هم مَنْ أسقطوا هذه التّهمةَ على موسى عليه السلام نفسه، وهم الّذين اقترحوا بعد ذلك ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾ [الأعراف: 111 - 112].

وفي سورة الشُّعراءِ كان فرعون هو مَنْ أسقطَ هذه التّهمةَ ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [الشُّعراء: 32 - 34] والملأ هم مَن قالوا له: ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الشُّعراء: 36 - 37].

وهذا التّباينُ بين التّراكيبِ والعباراتِ لا يدلّ على اضطرابٍ وتناقضٍ - عياذًا بالله - وإنّما تتشكّل الصّورةُ الكُلّيّة من هذه التّراكيب الّتي من المحتمل أنّها قد جاءتْ وصفًا لحالاتٍ مختلفةٍ، وجاء كلّ تركيبٍ منها مُتّسقًا مع السّياقِ العامِّ والخاصِّ الّذي جاء به، فبعضُ السّياقاتِ صوَّرت المحاكة الطّويلة بين موسى وفرعون، وبعضها قدَّمت إيجازًا سريعًا ومرورًا عابرًا لما جرى، وكلٌّ من هذه المواقف تطلَّب ألفاظهُ الخاصّة به، وأمّا الصّورة الكلّيّة فيمكن استنباطها من أنّ فرعون قد استخفّ بعقول قومه فأطاعوه، فهو الّذي بدأ بالاتّهام لموسى عليه السلام تارةً، وللآيات الّتي جاء بها تارةً أخرى، وفي كلِّ ذلك يقوم الملأُ بترديدِ وترويجِ هذه الاتّهاماتِ، ثمّ يتأثَّر القومُ بهذه الإشاعات، فتصبح التّهمةُ موجَّهة من قوم فرعون جميعهم، ثمّ يُقدِّم الملأُ اقتراحَهم بأن يُرْجِهْ وأخاه حتّى يجمعوا السّحرةَ، ويوافق

فرعونُ على ذلك ويقول: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ٧٩﴾ [يونس: 79]، وهكذا تتكاملُ معالمُ الصّورةِ الكلّيّةِ للأحداثِ من مجموعِ هذه المشاهدِ وتظهر الشّخصيّةُ الفرعونيّة على حقيقتِها، ويظهر دورُ الملأ الّذين يتلاعبون بالرّأي العامّ وفي عقول النّاسِ، وهي صورٌ صالحةٌ لكلّ زمانٍ ومكانٍ.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الفسق والإثم وبعضُ الألفاظ المُقاربة:

ألفاظُ الذّنوب والمعاصي في القرآن الكريم تتناسب مع السّياقات الّتي تأتي فيها

سَمّى القرآنُ الكريم هذه الذنوبَ والمعاصي بأسماءَ عديدةٍ في مواضعَ مختلفةٍ، ممّا يؤكدّ أنّ لكلّ لفظةٍ منها خصوصيّتها الّتي تميّزها من اللّفظة الأخرى الّتي تشاركها في بعض السّمات، فقد استعمَل القرآنُ ألفاظَ: الإثم، والسيّئة، والجُرْم، والخطأ، والخطيئة، والوِزْر، والمعصية، والذَّنب، والحَوْب، والفِسق، والفساد، والظُّلم، والفجور، والبَغْي، والطُّغيان، والعُتوّ، والحَنَث، والجُنُف، والفاحشة، وغيرها من الألفاظ، وإنّ تتبع هذه الألفاظ ودراسة الفروق المعجميّة والسياقية بينها يكشف عن رافدٍ مُهمٍّ من روافد الإعجاز.

فلفظة (الذَّنب) في أصلِ اللّغة هو الجُرْم[1]، وأُخذ من ذَنَبِ الدّابّة؛ فالذَّنْبُ هو الأخذ بذَنَبِ الشَّيء، ويُستعمل في كلّ فعلٍ يُستَوخمُ عقباه اعتبارًا بذنبِ الشيء ولما يحصلُ من عاقبته[2]، فالمعصيةُ إذن تُسمَّى ذنبًا تبعًا لما تجرُّه أذنابُها على العاصي.

ولأنّ البحثَ في دلالةِ كلِّ لفظةٍ من الألفاظِ السّابقة يطولُ؛ فنُشير إلى بعض محاولات العسكريّ وهو يُفرِّق بين بعض هذه الألفاظ، فالفرقُ عنده بين الذّنب والمعصية أنّ المعصية تُنبئ عن كونها منهيًّا

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، ص: 389.
(2) الرّاغب، المُفرَدات، ص: 137.

عنها، وتقع من فاعلها على وجهٍ قد نُهي عنه أو كُره منه، والذَّنب يُنبئ عن استحقاقِ العقاب[1]، والفرقُ بين الإثم والخطيئة أنّ الخطيئةَ قد تكون من غيرِ تعمُّدٍ، ولا يكون الإثم إلّا تعمُّدًا[2]، والفرق بين الإثم والذَّنبِ: أنّ الإثم في أصل اللُّغة التَّقصير[3]، والذَّنب فيها وفي غيرها، والفرق بين الذَّنَب والجُرَم: أنّ الذَّنب ما يتبعه الذّمّ، وهو القبيح من الفعل، والجُرَم ما ينقطع به عن الواجب[4]، والفرقُ بين الحَوْب والذَّنب: أنّ الحَوْب يُفيد أنّه مزجورٌ عنه[5]، والذَّنب يُفيد أنّه يتبعه مؤاخذةٌ، والفرقُ بين الوِزْرِ والذَّنْب: أنّ الوِزْرَ يُفيد أنّه يُثقلُ صاحبَه[6]، والإثمُ يُفيد المؤاخذةَ والعقوبةَ.

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 257.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 261.
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 261.
(4) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 262.
(5) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 262.
(6) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 262.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والثلاثون،
سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 39 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-84-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 39 : المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-84-6
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8468153 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»